وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت /كلية التربية
للعلوم الانسانية

قسم التاريخ/دكتوراه إسلامي

المادة الدولة العباسية

((عصر البويهيـــــين))

أ.د حنان عبد الرحمن طه

بلاد الديلم

تقع بلاد الديلم او بلاد جيلان في الجنوب الغربي لبحر قزوين ، ويحدها من الشرق منطقة طبرستان ، ومن الجنوب الجبال (جبال البرز) وهي عموماً منطقة جبلية وعرة, لكل جبل فيها رئيس وسكانها يسمون بـ (الديالمة) ، أو الجبل وهم موصوفون بالطيش وقلة الثبات في الامور. قاوم الديالمة الدولة العربية الاسلامية وتصدوا لحركة الفتوحات العربية في العصر الراشدي، وتمسكوا بمجوسيتهم ورفضوا الاسلام. واكتفوا بدفع الجزية الى سعيد بن العاص من قادة العرب المشهورين.

الخلافة العباسية والبويهيين

ظهر بنو بويه على مسرح الأحداث في أوائل القرن الرابع الهجري, وأسسوا دولاً انفصالية في فارس والأهواز وكرمان والري وأصفهان وهمذان. وبسطوا هيمنة فعلية على العراق، فشاركوا الخلافة العباسية في حكمه وعظم نفوذ هذه الأسرة حتى سمي باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية. هاجرت هذه الأسرة من الشمال من بلاد الديلم المنطقة المجاورة لبحر قزوين، واشتهرت على يد الأخ الأكبر من الإخوة البويهيين الثلاثة، وهو علي بن بن بويه(عماد الدولة)، الذي ولاه مرداويج الزياري بلاد الكرج (جورجيا حالياً). كان عماد الدولة تراوده نزعات تتعدى الاستقلالية إلى التوسع على حساب جيرانه بالإضافة إلى الطموح السياسي الذي تحقق له سريعاً، حيث ما لبث أن أصبح صاحب شوكة في هذه النواحي، واستمال الناس بحسن سياسته، وتمكن بفضل مقدرته العسكرية والإدارية، وكرمه، وحسن معاملته لأتباعه؛ من بناء جيش قوي، انتزع به معظم بلاد فارس، في خلال فترة قصيرة. واتخذ مدينة شيراز قاعدة لحكمه.

كان علي يستولي على هذه البلاد باسم الخليفة العباسي ظاهراً، لكن في باطن الأمر كان يهدف إلى إقامة دولة خاصة به مستغلاً ضعف الخلافة السياسي والعسكري وعجزها عن التدخل في هذه المناطق لترتيب أوضاعها. ثم أرسل إلى الخليفة الراضي بالله يطلب منه الاعتراف بسلطانه وهذا طبيعي، فإنه كان عليه أن

يأمن جانب الخلافة لأنه سيطر على إحدى ولاياتها رغم إرادتها، فأراد أن يكسب حكمه صفة شرعية وقد تم له ما أراد.

ثم التفت إلى مرداويج، فعمل على كسب رضاه هو أيضاً لأنه في بداية الأمر كان تابع له, فعرض عليه أن يدخل في طاعته، وأن يكون ما بيده من بلاد تابعة له يخطب له فيها وبالطبع رحب مرداويج بهذا العرض، فقلده أرجان، وأرسل عماد الدولة إليه أخاه حَسَن (ركن الدولة) رهينة ليكفل له حُسن التنفيذ.

أما فيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين الخلافة العباسية، في هذه الفترة، فقد تحددت بمقتضى التقليد الذي أرسله الخليفة، لكن الخلافة حاولت أن تستعيد هيبتها ، فأرسلت جيشاً بلغ مشارف فارس، لكنه رُدَّ على أعقابه بعد وقعة أرجان في عام ٣٢٣ هـ وثبت علي بن بويه (عماد الدولة) أقدامه في المنطقة، وأقام دولته فيها.

ولكن الظروف السياسية كانت تعمل لمصلحة البويهيين ففي عام ٣٢٣ هـ قتل مرداويج على يد غلمانه، فاستفاد علي من هذه الفرصة، وسيطر على بلاد الجبل التي كانت تحت سيادة وشمكير الزياري شقيق مرداويج. وأرسل أخاه حسن، الذي فر بعد مقتل مرداويج، فسيطر على أصفهان والري وهمذان والكرج وبقية بلاد العراق العجمي، واتخذ أبا الفضل بن العميد وزيراً له.

تطلع علي بن بويه (عماد الدولة) بعد ذلك إلى تأمين حدود الأقاليم التي استولى عليها وتطلبت سياسته الاستيلاء على كرمان والأهواز قبل الدخول إلى العراق الذي كان محط أنظاره على اعتبار أن هذين الإقليمين يشكلان ممراً طبيعياً لأي غزو محتمل لإقليم فارس إن من ناحية الشرق أو من ناحية الشمال. لذلك، أرسل أخاه أحمد (معز الدولة) على رأس قوة عسكرية، فاستولى على كرمان في عام ٣٢٤ هـ بعد معركة القنطرة وأضافها إلى أملاك آل بويه، ثم سيطر على الأهواز.

لم تقف الخلافة العباسية مكتوفة اليدين إزاء هذه التطورات السياسية والعسكرية, لذلك انتهزت فرصة هذا الصراع البويهي – الزياري وحاولت استعادة الأهواز، فأرسلت قواتاً بقيادة بجكم لاستردادها وطرد البويهيين

منها. ووقف هذا عند حدود الأهواز القريبة من العراق منتهزاً الفرصة للتدخل . لكن القائد العباسي اضطر إلى التراجع تحت ضغط الأحداث العسكرية بعدما مالت كفة البويهيين للرجحان. وأضحت الأهواز نتيجة ذلك في يد آل بويه بو الذين ضموها إلى أملاكهم, نتيجة لهذه التطورات، تم لبني بويه توسيع قاعدتهم بما يتماشى مع تطلعاتهم التوسعية وأضحى نزولهم من الأهواز إلى العراق أمراً ميسوراً، فراحوا يراقبون الأحداث في عاصمة الخلافة، حتى تسنح لهم الفرصة لدخولها. كانت الحالة في العراق مضطربة نتيجة اشتداد الخلافات بين ابن رائق والي البصرة وأمير الأمراء من جهة، وبين أبو عبد الله البريدي والي الأهواز السابق الفار من وجه قوات الخلافة من جهة ثانية، وقد التجأ إلى علي بن بويه وأطمعه في دخول العراق. ومن جهة أخرى، كانت الخلافة واقعة تحت نفوذ الأتراك. وظهر عجزها في إقرار الأمور في العراق . فشعر الناس بهذا الفراغ السياسي، ويفشل أمراء الأمراء . كما اختلت المالية العامة في الدولة، وفرغت خزائن الخلافة، ووقع الخلفاء في ضائقة مالية شديدة نتيجة لتحكم الأتراك وجشعهم.

ونتيجة لهده الاوضاع زحف احمد بن بويه تجاه العراق ودخله سنة 344هـ واستقبله الخليفة المستكفي واحتفى به وخلع عليه، وعينه أميراً للأمراء، ولقبه معز الدولة، ولقب أخاه علياً عماد الدولة، كما لقب أخاه حسن ركن الدولة ومن ثم أضحت هذه الألقاب الفخمة، التسمية المألوفة للأمراء البويهيين.

وهكذا أسس البويهيون في فارس والعراق والأهواز وكرمان والري وهمذان وأصفهان إمارات وراثية دامت حتى عام ٤٤٧هـ وقد أدى نظام الوراثة هذا، إلى إيجاد نوع من الاستقرار السياسي في دولة الخلافة العباسية ، سيطر البويهيون أثناءها على مقاليد الأمور، وتصرفوا بشكل مطلق. لكن هذا الاستقرار كانت تشوبه بعض الاضطرابات الناتجة عن النزاعات المذهبية بفعل تشيع الأسرة البويهية.

علاقة الخلافة العباسية بالبويهيين

كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلى أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وكبح جماح جندهم، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسؤولياتها وتجنب إثارة الفتن المذهبية. إلا أن ذلك لم يتحقق لأنهم دخلوا بغداد يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب. وقد فكر معزالدولة بعد دخوله بغداد، وسيطرته على مقاليد الأمور فيها، في إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية على أنقاضها، وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيدية أو الاتصال بالدولة الفاطمية في مصر وكان بإمكانه تحقيق ذلك. إلا أنه أحجم، بعد استشارة أصحابه، لأن مثل هذا التغيير كان سيعرض العالم الإسلامي لهزات عنيفة بالإضافة إلى زعزعة الحكم البويهي. وبالتالي فإن شيعة العراق الذين حاول معز الدولة استمالتهم إليه، كانوا على مذهب الإمامية وهذا يدل على أن تنصيب خليفة زيدي سيكون مماثلاً في نظرهم، بالمقارنة مع الخليفة العباسي, لهذا أدرك معز الدولة من خلال فكرته السياسية الثاقبة بأن البقاء على الخلافة العباسية أجدر متبعاً المبدأ الزيدي القائل (بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل) وأجاز على هذا الأساس الذي أقره المبدأ الزيدي، وعلى أساس المصلحة السياسية، أن يدين بالولاء لخليفة سني إلا أنه اتبع سياسة ترمي إلى الحد من سلطته مقابل تقوية نفوذه.

لقد ساد العهد البويهي شيء من الاستقرار السياسي من حيث مدة حكم الخلفاء . فقد تولى الخلفاء الحكم سنوات طويلة قبل أن يعزلوا من ذلك، فقد تولى الخليفة المطيع الحكم مدة ٢٩ عاماً (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ)، والطائع ١٨ عاماً (٣٦٣ – ٣٨١ هـ) ، والقادر ٤١ عاماً (٣٨١ – ٤٢٢ هـ). ولعل مرد ذلك يعود إلى أن إمرة الأمراء التي تولاها البويهيون، كانت تتحمل كافة تبعات الحكم، وأضحوا في ظلها مطلقي التصرف في العراق مقابل استمرار تحديد نفوذ الخليفة الذي ظل رمزاً لا يتولى من مقاليد الأمور شيئاً يمكن أن ينازعه فيه أحد، واقتصر عمله على إضفاء الصفة الشرعية على أعمالهم.

يذكر كثير من المؤرخين بأن بني بويه أذلوا الخلفاء العباسيين، وسلبوهم سلطانهم، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم، أحياناً، وأن الخلافة فقدت هيبتها، وضعف شأنها في عهدهم، وأن الخليفة أضحى ألعوبة في

أيديهم، يمثل رمزاً دينياً، ليس له من السلطة سوى الاسم فقط، أما السلطة الفعلية في الدولة فكانت في يد الأمير البويهي والحقيقة أن بني بويه لم يكونوا السبب المباشر لضعف الخلافة العباسية وفقدانها لهيبتها، إنهم ورثوا وضعاً قائماً بدأ قبل عهدهم، فقد الخليفة في أثنائه كل اختصاصاته كمصدر أول للسلطة في الدولة. ولعل أوضاع الخلافة في عهدهم، كانت أفضل مما كانت عليه في عصر النفوذ التركي، وذلك بفعل، استقرار الحكم لبني بويه، مما أبعد الخلفاء عن المشاكل التي كانوا عرضة لها في الأيام السابقة، نتيجة لتنازع القادة وأمراء الأمراء حيث كان ذلك سبباً مباشراً لخلعهم في أوقات متقاربة، والاعتداء عليهم. بل إن الأمراء البويهيين حرصوا على إظهار الطاعة والولاء لمقام الخليفة العباسي أمام الناس، نظراً للنفوذ الديني الذي كان يتمتع به بين المسلمين باعتباره الرئيس الأعلى للجماعة الإسلامية. ولما انتهى الصراع على السلطة، وأصبح منصب أمير الأمراء وراثياً في أسرة بني بويه، لم يعد هناك من داع للاحتكاك بالخليفة. ومن جهة أخرى، فقد فوّض الخليفة إلى الأمير البويهي إدارة الدولة بصفة رسمية مما أضفى الصفة الشرعية على تصرفاتهم وأعمالهم.

وفيما يتعلق بنفقات الخليفة، فإن أمراء الأمراء كانوا قد خصصوا لتلك النفقات ضياعاً تسمي الضياع المستخلصة أما بنو بويه فجعلوا للخليفة راتباً. فقد خصص معز الدولة للخليفة المستكفي راتباً يومياً حدّده بمبلغ خمسة آلاف درهم ، ويبدو أنه وجد أن ذلك غير عملي، لأن الأموال قد تتأخر ، لذلك أضاف إلى المياومة، بعد فتح البصرة في عام ٣٣٦ هـ ضياعاً مستخلصة بمثابة إقطاعات ومع ذلك فقد كانت أموال الخليفة عرضة للمصادرة.

واكتسب البويهيون ميزة ضرب الطبول أمام دورهم إيذاناً بدخول وقت الصلاة وكانت هذه العادة من أهم مظاهر السيادة العباسية، وهي أن تضرب الطبول أمام دار الخليفة خمس مرات في أوقات الصلاة. ولم يشاركه فيها أحد، حتى أولياء العهد وقد حاول الأمراء البويهيون منذ عهد معز الدولة التمتع بهذه العادة لكنهم فشلوا. حتى إذا تولى عضد الدولة أمور العراق في عام ٣٦٧ هـ طلب من الخليفة الطائع أن يمنحه

حق ضرب الطبول أمام داره، فأجاز له ذلك ثلاث مرات يومياً في أوقات الصبح والمغرب والعشاء ويبدو أن الخلاف الذي نشأ بين الرجلين عند النزاع بين بني بويه والأتراك، كان الدافع للخليفة على منح هذه الميزة، بهدف تحسين علاقته به.

أما فيما يتعلق بالخطبة والسكة، فقد جرت العادة بأن يخطب للخلفاء والأمراء الأمراء معهم على جميع المنابر في الولايات، باستثناء بغداد حيث كان يخطب للخليفة وحده لكن في عام ٣٦٨ هـ أمر الخليفة الطائع بأن يخطب العضد الدولة على منابر بغداد بعد الخطبة للخليفة أما كتابة اسم أمير الأمراء البويهي على السكة، فقد كان أمراً جرت به العادة من قبل.

أما على الصعيد الخارجي، فإن البويهيين لم يعيروا اهتماماً لتنامي القوة البيزنطية المتجددة في عهد الأسرة المقدونية، كما لم يتطلعوا إلى بلاد الشام التي شهدت، في بعض الأحيان، نزاعات حادة بين الطولونيين والأخشيديين من جهة، وبين الخلافة العباسية والدولة الحمدانية من جهة أخرى.

أما في الشرق، فإنهم لم يشاركوا السامانيين والغزنويين في الدفاع عن مناطق الحدود مع الهند والترك الوثنيين والراجح أن الخلافات الداخلية التي كانت تنشأ داخل الأسرة، منعتهم من الاهتمام بالأمور الخارجية، أو الحرص على أن يكون لهم دور فعال في العالم الإسلامي.

اضطربت أوضاع البويهيين بعد وفاة بهاء الدولة في عام ٤٠٣ هـ ولعل مرد ذلك يعود إلى تنازع أبنائه . ذلك أن البيت البويهي لم يتبن قاعدة ثابتة لولاية الأمر فاختلف أفراده فيما بينهم، ولم يحتفظوا بتضامنهم، وفقدوا جزءاً من حيويتهم ومن نشاطهم . فقد استأثر كل واحد من أبناء بهاء الدولة بناحية . فأقام سلطان الدولة في شيراز، وولى أخاه مشرف الدولة أمرة الأمراء في بغداد، كما ولى أخاه جلال الدولة منطقة البصرة، وأخاه أبا الفوارس كرمان فتطلع كل منهم إلى الاستقلال بما في يده، وطمع بانتزاع ما بيد أخيه ، حتى دب الشقاق داخل الأسرة.

اعتمد البويهيون منذ عهد معز الدولة على الأتراك. فجندوا الكثير منهم، ووصل بعضهم إلى مناصب قيادية. وبالرغم من أن السيادة ظلت في يد البويهيين، إلا أن قوة الجند الأتراك ازدادت باستمرار تحت حكم البويهيين المتأخرين بعد عضد الدولة وأضحت قوة لا يمكن الاستغناء عنها وشكل الأتراك وحدات الفرسان في حين شكل البويهيون المشاة.

كان من الطبيعي في ظل هذا الوضع أن ينشأ التنافس بين الطرفين مما سبب الكثير من المتاعب للبويهيين، إذ كثيراً ما أدى ذلك إلى اندلاع الثورات والحروب الأهلية ولم يتورع الجند الأتراك عن نهب العاصمة أحياناً، كما لم يتورعوا حتى عن نهب قصور أمرائهم، مطالبين بزيادة مرتباتهم، وبتعويضات إضافية.

ونظراً لعجزهم عن معالجة هذه المشاكل وتلبية حاجات جنودهم، لجأ البويهيون إلى تبني سياسة جديدة تمثلت بظهور نظام اجتماعي جديد هو نظام الإقطاع فلجأوا إلى منحهم القرى مقابل خدماتهم. وتميز هذا الإقطاع بالمرحلية أي أنه أقطع لفترة محددة لتأمين حياة الجند، مما جعل التغير المتكرر في المستفيدين من الإقطاعية السمة البارزة فأهمل المقطعون الذين أدركوا أن القرى ستؤخذ منهم بعد وقت قصير ، صيانتها مما جلب الخراب للقرى، وتدهوراً اقتصادياً تأثرت به الخزانة البويهية فضلاً عن خزانة الخلافة العامة .

انكمش البويهيون على أنفسهم ضمن دائرة نفوذهم. وأهملوا في الوقت نفسه، الاهتمام بما كان يجري من أحداث في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، فلم يشاركوا فيها، مما أفسح المجال إلى نشوء إمارات أخرى، أخذت على عاتقها القيام لقب الخليفة المطيع الأمير شجاع فناخسرو بلقب عضد الدولة وفي عام ٣٥٥ هـ لقب أحمد بن بويه مؤيد الدولة, ولقب الأمير بختيار عز الدولة وفي عام ٣٦٤ هـ لقب أبا الحسن علي بن ركن الدولة بـ فخر الدولة. ويبدو أن الخليفة كان يختار بنفسه اللقب للأمير البويهي، وعلى الأخير قبوله وعدم الاعتراض عليه غير أن ذلك لم يدم طويلاً فمنذ عام ٣٦٩ هـ أضحى الأمير البويهي هو الذي يختار لنفسه ما يشاء من الألقاب، ثم يحصل على موافقة الخليفة عليها. فقد طلب عضد الدولة، عندما قدم إلى بغداد في

العام المذكور، من الخليفة أن يضيف إلى لقبه تاج الملة، فوافق الخليفة ومنحه اللقب وعندما اشتد ساعدهم تمادى الأمراء البويهيون في إضفاء العظمة على هيبتهم من خلال الألقاب . فقد تلقب عضد الدولة بلقب ملك الملوك ولم يكن الخليفة راضياً عن ذلك وتلقب أبو كاليجار بلقب ملك الأمة. وزيد في ألقاب جلال الدولة في عام ٤٢٩ هـ لقب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك وذلك بموافقة الخليفة وخطب له بذلك على المنابر. فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالآجر، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك. وتلقب الأمير خسرو فيروز في عام ٤٤٠ هـ (بلقب الملك الرحيم) وقد امتنع الخليفة، في بادىء الأمر ، عن منحه هذا اللقب، ثم وافق بعد ذلك مرغما.

سقطت الدولة البويهية في العراق وفارس تحت ضربات السلاجقة ووقع الملك الرحيم أسيراً في يد طغرلبك السلجوقي أثناء دخوله بغداد عام 477هـ.